محاضرة رقم03: علم الجيوبوليتيك والنظريات الجيو استراتيجية

1. مفهوم الجيوبوليتيك:Geopolitik

يعد العالم السويدي يوهان رودولف كلين أول من إستخدم مصطلح الجيوبوليتيكا فقد عرفها بأنها :" البيئة الطبيعية للدولة، وإن أهم ماتعنى به الدولة هو القوة وأشار إلى أن حياة الدولة تعتمد على التربية والثقافة والإقتصاد والحكم وقوة السلطان، حيث رأى أن الجغرافيا ينبغي أن تسخر لخدمة الدولة وذلك هو الغرض الأسمى للدراسة، وبذلك تتحول الجغرافيا في مجملها إلى جيوبوليتيكيا.

حسب أتباع راتزل عرف الجيوبوليتيك بأنه علم دراسة العلاقة بين الأرض والسياسة، إنه العلم الذي يوضح كيف تقوم السياسة على مقتضى حتميات جغرافية، أي كيف أن العوامل الجغرافية من الموقع الجغرافي والتضاريس والمناخ لها دور حتمي في تشكيل سياسة الدول.

عرف كيلين الجيوبوليتيكيا أيضاً بأنها:" علم الدولة كجسم جغرافي متجسد في المكان" وعرفها أيضا بأنها :" نظرية الدولة ككائن جغرافي أو ظاهرة تشغل حيزا من الأرض".

2. نشأة الجيوبوليتيك Geopolitik :

تعود جذور الجيوبوليتيك إلى أواخر القرن التاسع عشر مع الألماني فريدريك راتزل (1844–1904) الذي رأى أن العوامل الجغرافية تؤثر في سلوك الدول، واعتبر الدولة كائنًا حيًا يتأثر ببيئته الجغرافية.

- صاغ السويدي رودولف كيلين (1864–1922) مصطلح "جيوبوليتيك"، واعتبر الدولة كائنًا حيًا يسعى للنمو والتوسع، وأن القوة عنصر أساسي في بقائها.
- تطور المفهوم في ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى، خاصة مع أفكار "أوروبا الوسطى" التي دعت إلى توحيد أوروبا الوسطى اقتصاديًا وسياسيًا بقيادة ألمانيا.
- تعززت الجيوبوليتيك في ألمانيا مع كارل هاوسهوفر (1869–1946) الذي أسس سنة 1924 معهد ميونيخ للجيوبوليتيك وأصدر مجلة متخصصة، وربط الجغرافيا بالقوة والتوسع، وتأثرت أفكاره بالسياسة النازية، ما جعل الجيوبوليتيك تُوظَّف لخدمة أهداف توسعية، وأثار ذلك انتقادات واسعة داخل ألمانيا وخارجها.
- في بريطانيا برز هالفورد ماكندر (1861–1947) صاحب نظرية "قلب العالم"، حيث اعتبر أن السيطرة على قلب اليابسة تمنح السيطرة على العالم، وكان لأفكاره أثر كبير في رسم السياسات الدولية.
- في الولايات المتحدة ظهر ألفرد ماهان (1840–1914) الذي ركّز على أهمية القوة البحرية في تحقيق السيادة العالمية، كما أسهم باحثون أمريكيون مثل نيكولاس سبايكمان في تطوير الفكر الجيوبوليتيكي وربطه بالعلاقات الدولية والتوازن العالمي.

بعد 1945 ظهرت "الجيوبوليتيك الطبيعية" التي ركزت على أثر العوامل الجغرافية (الموقع، المساحة، التضاريس، المناخ) في سلوك الدول، ثم خلال الحرب الباردة (1945–1990) طغى الطابع الإيديولوجي على الجيوبوليتيك في ظل الصراع بين المعسكرين الرأسمالي والاشتراكي.

3. نظريات الجيوبوليتيك:

- **نظرية المجال الحيوي:Lebensraum**

ظهرت فكرتها بعد صعود ألمانيا قوةً صناعية وعسكرية أواخر القرن 19.

وضع أسسها الجغرافي الألماني Friedrich Ratzel الذي اعتبر الدولة كائنًا حيًا يحتاج إلى "مجال حيوي" ليتوسع ويستمر، فقد رأى أن قوة الدولة ترتبط بمساحتها ومواردها، وأن التوسع يمنحها البقاء والنفوذ، تأثر فكره بنظرية التطور لـCharles Darwin ، وبأفكار Herbert Spencerحول "البقاء للأصلح"، حيث طُبِّقت هذه الفكرة اجتماعيًا وسياسيًا.

- لاحقًا تبنّت النازية هذا المفهوم لتبرير التوسع وضمّ أراضٍ جديدة.

- **نظرية القوة البرية (قلب الأرض) – هالفورد ماكندر**

صاحبها الجغرافي البريطانيHalford John Mackinder ، وطرحها سنة 1904 في مقالته عن "المحور الجغرافي للتاريخ".

فقسّم العالم إلى:

1) الجزيرة العالمية :(World Island) أوروبا + آسيا + إفريقيا، وهي أكبر كتلة يابسة وأغناها سكانًا وموارداً.
2) الجزر الخارجية (أمريكا، أستراليا، اليابان...).
3) المحيط العالمي الذي يحيط بهذه الكتل.

اعتبر هالفورد أن أهم منطقة استراتيجية هي قلب الأرض(Heartland) ، وتقع في قلب أوراسيا (تقريبًا روسيا وآسيا الوسطى)، فرأى أن هذه المنطقة محمية طبيعيًا بالجبال والبراري والمناخ القاسي، وبعيدة عن القوى البحرية، مما يجعلها قاعدة قوة برية كبرى.

صاغ مقولته الشهيرة:

من يسيطر على شرق أوروبا يسيطر على قلب الأرض،
ومن يسيطر على قلب الأرض يسيطر على الجزيرة العالمية،
ومن يسيطر على الجزيرة العالمية يسيطر على العالم.

- **نظرية القوة البحرية:**

تقوم على أن السيطرة على البحار والمحيطات هي أساس القوة العالمية، فالقوة البحرية لا تعني الأسطول الحربي فقط، بل تشمل السفن التجارية، القواعد البحرية، والموانئ وخطوط الملاحة.

أبرز من نظّر لها هو Alfred Thayer Mahan الذي أكد أن الدولة التي تسيطر على طرق التجارة البحرية تمتلك النفوذ الاقتصادي والعسكري.

من أهم أفكاره: أهمية الموقع الجغرافي، قوة الأسطول، ازدهار التجارة، وامتلاك مستعمرات أو قواعد خارجية لدعم الانتشار البحري.

أثّرت نظرية ألفرد في سياسات دول كبرى مثل بريطانيا والولايات المتحدة، وساهمت في سباق التسلح البحري.

- **مظاهر الإختلاف بين الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيك:**

- تدرس الجغرافيا السياسية كيان الدولة كما هو في الواقع، بينما أن الجيوبوليتيكا تدرس خطة لما يجب أن تكون عليه الدولة.
- تقتصر الجغرافيا السياسية على رسم صورة الدولة في الماضي والحاضر، بينما أن الجيوبوليتيكا ترسم حالة الدولة في المستقبل.
- إن الجغرافيا السياسية أميل إلى أن تكون ثابتةStatic ، بينما الجيوبوليتيك متطورة متحركة Dynamic.
- أن الجغرافيا السياسية هي مرآة للدولة تعكس صورتها الحقيقية، بينما الجيوبوليتيك تجعل الجغرافيا في خدمة الدولة.
- تقوم دراسة الجغرافيا السياسية على أساس موضوعي، بينما أن الجيوبوليتيكا تدرس العلاقة بين الأرض والدولة، كما تدرس السياسات العالمية من وجهة نظر قومية محلية ومغرضة.
- تعترف الجغرافيا السياسية بالحدود القائمة للدول، بينما الجيوبوليتيك لا تعترف بحدود ثابتة.

وتأسيسا لما سبق من تعريفات مقدمة لكل من علمي الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيك، نستنتج أن هي الأصل الذي تفرعت منه الجيوبوليتيك، أي أن الجيوبوليتيك هو أحد فروع الجغرافيا السياسية.